ويبدو بذلك أن العرب كانوا يُولون الوجه أكبر عناية، لأنه وحده يستقبل الناظر فيجذب أو يدفع، ويرسل السخَر أو يبعث السحر، ولذلك أكثروا من وصف الفم والأنف والجبين والذقن؛ فقال شاعرهم يرسم لوحةً كرهها فى وجه امرأة :

ذَقَنٌ ناقصٌ وأنفٌ غليظٌ وجبينٌ كساجة القُسْطَارِ (١)
قَامة القُصْعُل (٢) الضعيف وكفٌّ خنصراها كذِينَقِ القَصَّارِ (٣)

فرسم منها الذقن الناقص ، والأنف الغليظ ، والجبين الواسع ، والقامة الضئيلة ، والكف كمدقّ الثياب ، فجعلها بعيدة عن جمال الجنس اللطيف غريبة الأعضاء ، غليظة فى كلّ شىء ، واختار لها الألفاظ والمفردات بما يناسب مقامها وصورتها . وقد وصف شعراء آخرون أشياء أخرى تبعث الكراهية والنفور . فعرضوا للصوت ، والرأس والشعر ، واللحية ، واللعاب ، فى الرجال وفى النساء ، فصوّروا هؤلاء وهؤلاء بأشكال مزرية مضحكة ، حتى إنهم رسموا التآليل فى الوجه والجمة والأفخاذ، مما لا نجيزُ روايته هنا ، وإنما نورد أبياتاً لشاعر مخضرم فى هجاء أمّ ولد له :

لَهـا شَعْرُ قِرْدٍ إذا ازّينتْ ووجـهٌ كبيض القطا الأبرش (٤)
وثَدْىٌ يجولُ عَلى نحـرها كقَرْبة ذى الثلة (٥) المعْطِشِ

فهى إذا تزينت بدتْ فى شعرها كقردٍ سمج ، ووجهها كوجه القطا الأبرش قد توزعت فيه نقطٌ بيض ، وثديها يجول لكبره على نحرها ، ويهتزّ لضخامته كما تهتزّ قربةٌ متدلية قد أعدّت لضأن كثير . وأنت ترى أن هؤلاء الشعراء لم يُغفلوا صفة قبيحة فى وجه أو فى قامة أو فى مفاصل وأعضاء إلا جمعوها وحشدوها وأبدوْا تقززَهم منها ، فكانوا فى أوصافهم بارعين ، وكادوا يلحقون بالوصافين

---

(١) الساجة : لوح الصيرفى الذى يقوم عليه كفتا الشاهين إذا وزن به — والقسطار : الصيرفى .
(٢) القصعل : القصير والضئيل .
(٣) ذينق : مدق القصار الذى يدق عليه الثوب .
(٤) برش برشاً : كان على جلده نقط بيض فهو أبرش وهى برشاء .
(٥) الثلة : الضأن الكثيرة ، وجماعة الغنم ، جمعها ثلال وثلل .